من فلان اولا اظلم من فلان فالمراد به حتما انه اكرم من كل كريم وافضل من كل فاضل
وهذا الحكم عام لكل من فعل ذلك فى اى مسجد كان وان كان سبب النزول فعل طائفة
معينة فى مسجد مخصوص روى ان النصارى كانوا يطرحون فى بيت المقدس الاذى
ويمنعون الناس ان يصلوا فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا
وسبوا وقد نقل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ان ططيوس الرومى ملك النصارى
واصحابه غزوا بنى اسرائيل وقتلوا مقاتلتهم وسبوا ذراريهم واحرقوا التورية
وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير ولم يزل خرابا حتى بناه
المسلمون فى عهد عمر رضى الله تعالى عنه وانما اوقع المنع على المساجد وان كان الممنوع
هو الناس لما ان فعلهم من طرح الاذى والتخريب ونحوهما متعلق بالمسجد لا بالناس
مع كونه على حاله وتعلق الاية الكريمة بما قبلها من حيث انها مبطلة لدعوى النصارى
اختصاصهم بدخول الجنة وقيل هو منع المشركين رسول الله صلى الله تعالى عليه
ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فتعلقها بما قدمها من جهة ان المشركين من
جملة الجهلة القائلين لكل ما هداهم ليسوا على شيء ان يذكر فيها اسمه ثانى مفعولى
منع كقوله تعالى وما منع الناس ان يؤمنوا وقوله تعالى وما منعنا ان نرسل بالايات الا
ان كذب بها الاولون ويجوز ان يكون ذلك بحذف الجار مع ان وان يكون بدل اشتمال
مفعولا له اى كراهة ان يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها بالهدم والتعليل بانقطاع
الذكر اولئك المانعون الظالمون الساعون فى خرابها ما كان لهم ان يدخلوها
الا خائفين اى ما كان ينبغى لهم ان يدخلوها الا على خشية وخضوع فضلا
عن الاجتراء على تخريبها او تعطيلها او ما كان الحق ان يدخلوها الا على حال التهيب
وارتعاد الفرائص من جهة المؤمنين ان يبطشوا بهم فضلا عن ان يستولوا
عليها ويلوها ويمنعوهم منها او ما كان لهم فى علم الله تعالى وقضائه فالاية وعد
ذلك فيكون وعدا للمؤمنين بالنصرة واستخلاصها استولوا عليه منهم وقد
انجز الوعد ولله الحمد روى انه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا
متنكرا مسارقة وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول فى المسجد واختلف
الائمة فى ذلك فجوزه ابو حنيفة مطلقا وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره
لهم اى لاولئك المذكورين فى الدنيا خزى اى خزى فظيع لا يوصف بالقتل و
السبى والاذلال بضرب الجزية عليهم ولهم فى الاخرة عذاب عظيم وهو عذاب

النار

النار لما ان سببه ايضا وهو ما حكى من ظلمهم كذلك فى العظم وتقديم الظرف فى الموضعين
للتشويق الى ما يذكر بعده من الخزى والعذاب لما مر من ان تاخير ما حقه التقديم موجب لتوجه
النفس اليه فيتمكن عند وروده فضل تمكن كما فى قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج الى غير ذلك ولله المشرق والمغرب اى له كل الارض التى هى عبارة عن
ناحيتى المشرق والمغرب لا يختص به من حيث الملك والتصرف ومن حيث المحلية لعبادته
مكان منها دون مكان فان منعتم من اقامة العبادة فى المسجد الاقصى او المسجد الحرام فاينما
تولوا اى ففى اى مكان فعلتم تولية وجوهكم شطر القبلة فثم وجه الله ان الله واسع عليم
بمصالحهم واعمالهم فى الاماكن كلها والجملة تعليل لمضمون الشرطية وعن ابن عمر رضى الله تعالى
عنه نزلت فى صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهوا وقيل فى قوم عميت عليهم القبلة فصلوا
الى انحاء مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم وعلى هذا لو اخطا المجتهد ثم تبين له الخطا لم يلزمه
التدارك وقيل هى توطئة لنسخ القبلة وتنزيه للمعبود عن ان يكون فى جهة وقالوا اتخذ
الله ولدا حكاية لطرف اخر من مقالاتهم الباطلة المحكية فيما سلف معطوفة على ما قبلها
من قوله تعالى وقالت لا على صلة ما بينهما من الجمل الكثيرة الاجنبية والضمير لليهود و
النصارى ومن شاركهم فيما قالوا من الذين لا يعلمون وقرئ بغير واو على الاستيناف اى
حين قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ومشركو العرب الملائكة بنات
الله والاتخاذ اما بمعنى الصنع والعمل فلا يتعدى الا الى واحد واما بمعنى التصيير والمفعول
الاول محذوف اى صير بعض مخلوقاته ولدا سبحانه تنزيه له تعالى عما قالوا وسبحان علم
للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه على المصدرية فلا يكاد يذكر ناصبه اى اسبح سبحانه
اى انزهه تنزيها لائقا به وفيه من التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من السبح
الذى هو الذهاب والابعاد فى الارض ومن جهة النقل الى التفعيل ومن جهة العدول
من المصدر الى الاسم الموضوع له خاصة لاسيما العلم المشير الى الحقيقة الحاضرة
فى الذهن ومن جهة اقامته مقام المصدر مع الفعل ما لا يخفى وقيل هو مصدر
كغفران بمعنى التنزه اى تنزه بذاته تنزها حقيقيا به ففيه مبالغة من حيث اسناد
البراءة الى الذات المقدسة وان كان التنزيه اعتقاد تنزهه تعالى عما لا يليق به لا
اثباته له تعالى وقوله بل له ما فى السموات والارض رد لما زعموه وتنبيه على بطلانه
وكلمة بل للاضراب عما يقتضيه مقالتهم الباطلة من مجانسته سبحانه وتعالى
لشيء من المخلوقات ومن سرعة فنائه الى اتخاذ ما يقوم مقامه فان مجرد الامكان

Copyright © King Saud University